مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11 / العدد: 01 (2022)، ص: 576-589

أثر النهضة الأوروبية في رسم ملامح الحداثة

The impact of the European Renaissance on drawing the features of modernity

د. كشي احمد – أستاذ محاضر (أ)
جامعة الجزائر 2. أبو القاسم سعد الله (الجزائر)،
ahmed.kichi@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 05/ 12/ 2022 تاريخ القبول: 14/ 02/ 2023 تاريخ النشر: 2023/03/05

ملخص:
نسعى، في هذا النص، إلى إماطة اللثام عن اسباب التحوّلات التي تعتري البُنى الذهنية على نحو يجعلها تؤثر بشكل عميق في ظروف الحياة المادية و الروحية على حد سواء بما فيه الكفاية لإحداث "طفرة اجتماعية" تجعل مسار الانسانية الحضاري يتخذ منحى جديدا لتحقيق بذلك "قفزة نوعية" يُخرجها من السُبل المألوفة في مجرى التاريخ؛ تاريخ العلم، تاريخ الفلسفة و تاريخ الأدب و الفن... ببساطة: تاريخ الانسانية الاجتماعية. و بهذا الصدد، نقدم هذا النص لاستجلاء عوامل التحوّل الحضاري-في تقديرنا- الذي يضاهي الطفرة في الجينات في عالم الوراثة في قلب الظلامية التي كانت تنخر نسيج الانسانية الاجتماعية على مدى القرون الوسطى.
في النتيجة، توصلنا إلى أن التطوّر الحضاري الحقيقي لا يكمن في تكديس المعلومات و الاستزادة منها، إنما التطور الحقيقي يتمثل في ابداع السبل المعرفية التي ترسم ملامح "انموذج علمي" يفتح آفاقا لفكر نوعي جديد.

كلمات مفتاحية: الحداثة، التأريخ، فن النهضة، النزعة الإنسانية، الإنسانية الإجتماعية

Abstract:
We aim, through this article to highlight the causes of the transformations that occur in human mental structures in a way that makes social humanity deeply affect the conditions on both material and spiritual level and induce a social revolution that makes the civilizational path take a new direction and achieve a qualitative leap that gets social humanity off the beaten track in course of history : the history of science, the history of philosophy, the history of literature and art… we mean the emergence of a new way of doing, a new way of thinking, simply put : a real new way of life.

Keywords: Modernity, historiography, Renaissance, Humanism philosophy

---

***المؤلف المرسل: د. كشي احمد**

1.مقدمة

عرفت بعض المجتمعات تطورا شاملا كليا أثّر بشكل دامغ في السيرورة التاريخية و في صيرورته على نحو غيّر المسار الحضاري للإنسانية الاجتماعية في عمق وجودها ذاتا و موضوعا معا، في حين يحاول بعضها الآخر عبثا، مواكبة مقتضيات الحياة العصرية التي صنعها الآخر، جوانيا: عقليا و وجدانيا، بخلفية المحافظة على ذاتية وجودها سعيا إلى المساهمة في **تأريخ** الحضارة الإنسانية.

و الحال تلك، لا مفرّ من المساءلة عن الأسباب التي جعلت بعض المجتمعات تنجح دون غيرها في صناعة التاريخ. و حرصا على الإجابة عن هذا التساؤل، عمدنا إلى الكشف عن الأسباب الحقيقية التي أفرزت الحداثة بكل خصائصها كأنموذج "**للتأريخ**" الحضارة البشرية بدلا من الاكتفاء بمسايرتها اعتمادا على المنهج الاستقرائي: استقراء التاريخ الأوروبي في حقبة معينة.

2. مظاهر النهضة الأوروبية

التسلسل الزمني للتاريخ يعبّر و يكشف عن انتظام الأحداث الطبيعية و العلمية و الفلسفية و الاجتماعية المتعاقبة داخل السيرورة التاريخية. و إذا كان الزمن، من حيث هو اطار قبلي لكل موجود، تيارا سرمديا ممتدا على نحو متصل متواصل غير منقطع في كينونته الذاتية، فإن الأحداث التي يتضمّنها تختلف في طبيعتها و تتفاوت من حيث الأهمية تبعا للدرجة و عمق الاثر الذي تحدثه و تتركه في اوضاع الإنسانية الاجتماعية في مختلف تشكيلاتها البشرية و الحضارية و في مختلف أُطر وجودها المكانية؛ و على هذا الأساس، عمد الإنسانيون الأوائل Les **précurseurs de l'humanisme philosophique**، انطلاقا من القرن السادس عشر، إلى تقسيم مجرى التاريخ إلى حقبات أو حقب و محطات زمنية تنفرد بخصوصيات فلسفية و علمية و سياسية و اجتماعية و ادبية و فنية، تحدّد طبيعتها و تعيّنها، فتجعلها مغايرة لما سواها ، و ذلك بدءا ممّا اطلقوا عليه " عصر النهضة الأوروبية " **Renaissance européenne** الذي شاهد ميلاد حركة ثقافية تأسيسية، تدريجية الأثر و الانتشار و تصاعدية الطبيعة على مختلف المستويات: العلمية و الفلسفية، السياسية و الفنية، حثيثة الحدة و بعيدة الغور، في ايطاليا على مدى القرنين الرابع عشر و الخامس عشر، لتمتد بعد ذلك تدريجيا إلى سائر البلدان الاوروبية الاخرى مثل هولاندا و بروسيا و غيرهما (يوسف كرم، 1979، ص 5) و إن كان بعض المؤرخين المعاصرين الذين اختصوا بدراسة تاريخ

العصور الوسطى الفكري على وجه التحديد، لم يستسيغوا فعل "تحقيب" السيرورة التاريخية على النحو المتداول، نظرا إلى أن كتابة التاريخ ليس مجرّد نقل الاحداث في كينونتها المادية إلى القارئ، إنما هي أوّلا و قبل كل شيء "قراءة" للمادة التاريخية و ما يفترض ذلك من التأويل تبعا للقناعات الثقافية و الميول إلى المعتقدات الدينية الخاصة، فضلا عن طبيعة التكوين العلمي. ذلك هو الأمر الذي جعلهم يتحفّظون من رسم الحدود التاريخية بين محطات البشرية الثقافية، فأعلنوا رأيّا آخرا يفيد ضرورة إعادة النظر في اتخاذ النهضة الاوروبية سببا مباشرا في ميلاد الحداثة بكل أبعادها، على اعتبار الفكر المدرسي كان يحمل في ثناياه ما يكفي من الافكار و التصورات و المادة المعرفية لرسم ملامح الفكر الحديث على نحو يكون هذا الأخير مجرّ امتداد طبيعي للتراث عصر الوسيط الثقافي و العلمي، و ذلك على الرغم من وضوح إيهاب الظلامية الخرقاء في ثوب التنجيم والهمجية و الحروب الطاحنة المهلكة المتقطعة، بما فيها حرب مائة سنة، الذي يكشف تلك الحقبة الزمنية في أحلك شكل عرفته اوروبا. (جون لويس، 1978، ص 60)

و مع ذلك، نودّ، من خلال هذا النص، استجلاء بصمات النهضة الأوروبية في احداث قطيعة ابستمولوجية مع النمط الفكري السائد في القرون الوسطى الأوروبية على مختلف مستويات النشاطات الثقافية لنستشعر التغييرات المستحدثة في بنية الأوروبي المتوسط الذهنية بالمقارنة الضمنية مع نظيره من عصر الوسيط. و نستشف التغييرات المقصودة على المستويات الآتية:

1.2 النهضة العلمية:

يجدر بنا أن نشير إلى أن كلمة النهضة **Renaissance**، ايطالية الأصل، يرجع اشتقاقها اللغوي إلى لفظ ريناتشيطة **Rinascita** أو ريناتشيمانطو **Rinascimento** التي تداولها لأول مرة رجال العلم و الفن إبّان القرن الرابع

عشر في ايطاليا، حين يتحدثون عن أحوالهم المعيشة بالمقارنة مع أسلافهم من القرون الوسطى، علما أن المادة الفلسفية(الصراع بين دعاة النقل و دعاة العقل) و الصناعة الفنية، كانت كثيفة الوفرة، ثرية و غنية النوعية، على مدى القرنين، ممّا جعل الحس العلمي و النقد الفلسفي و الفني النهضويين ينصبوا عليها بحثا "لتنميطها" **Modélisation** على نحو يمتثل بمقتضاها العالم امتثالا جديدا، و كان ذلك خلال حركة النهضة الايطالية الاولى الممتدة من القرن الرابع عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر، ليتمّ، على اثرها، اكتشاف الثقافتين الرومانية و اليونانية القديمتين، فالعودة إليهما لتتقاطع مع الثقافة المدرسية في اذهان مفكري الاصلاح(**Les réformateurs**) بزعامة أعلام رسخت اسماؤهم في تاريخ الثقافة العالمية على شاكلة باولو توسكانللي (1397-1482) **Paolo Toscanelli** عالم رياضيات و طبيب و عالم الفلك حيث ساهم بأعماله في تطوير المباحث الفلكية بشكل جسيم، و نيكولا كوبرنيك (1473-1543) **Nicolas Copernic** الذي أحدث ثورة حقيقية بعمله العلمي الجوهري الموسوم بـ"ثورة الاجرام السماوية" **Révolution des sphères célestes** الذي كشف من خلاله نظريته الثورية (مركزية الشمس) **Héliocentrisme** و قدّمها على نحو المضاد التام للنظرية الرسمية المعتمدة في عصره (مركزية الأرض) **Géocentrisme** التي تبنّاها و زكّاها رجال الدين وفقا للنصوص الدينية السائدة و المعتمدة. (جون لويس، 1978، ص 73) ذلك، هو الإنجاز العلمي الذي اعتبره عالم الإبيستيمولوجيا المعاصر أليكسندر كويري(1892-1964) **Alexandre Koyré** و الفيزيائي توماس صمويل كوهن(1922-1996)**Thomas Samuel Kuhn** بمثابة نقلة نوعية في علم الفلك، إذ تخلّصت الإنسانية العلمية بمقتضاه من تصورها المقفل و المغلق للعالم لتنتقل إلى تصوّر آخر مفتوح و لامتناه:« **Une évolution qui fit passer l'humanité d'une vision d'un monde clos à un univers**

infini »، و كيف لا يكون الأمر كذلك و هو الذي أثبت لأوّل مرة في تاريخ العلم أن الكواكب تدور حول الشمس و أن الأرض تدور حول نفسها، و إلى جانبه نذكر أندري فيزال(1514-1564) **André Vesale**، الطبيب الذي ساهم في تطوير التشريح **Anatomie** و الجراحة بفضل محاضراته المدوّنة في عمل قيّم جاء بعنوان « **De humani corporis fabrica** » "بنية جسم الإنسان" الذي نُشر سنة 1543 ليلفت النظر، من خلاله، إلى وجوب تحرّي اوضاع الانسان و احواله البيولوجية وضعيا بدل البحث عنها و تنقيبها حيث لا توجد.

و الحال تلك، لا يمكن أن لا نذكر غاليلي(1564-1642) **Galileo Galilei** الذي ساهم بشكل جسيم في النشر و التدعيم العلمي لأعمال نوكولا كوبرنيك فضلا عن مساهمته الشخصية في الفلك و الرياضيات و عن ابتكاره أدوات القياس الرياضية الدقيقة و توظيفها في قياس الظواهر الطبيعية للانتقال من ضبط العلاقات القائمة بين الظواهر الطبيعية على نحو "كيفي" و ما يلزم عن ذلك من السطحية و التقريب في معرفة الانسان للظواهر الطبيعية، إلى تقديرها تقديرا كميا و ما يلزم عنه من الدقة في معرفته للظواهر الطبيعية و الإنسانية، بالإضافة إلى نضاله الحثيث ضد الفكر الظلامي الذي لزم القرون الوسطى و لاسيما مشاداته مع رجال الكنيسة و شراسة احتجاجه على سلطة الثقافة البابوية المتزمّتة، بحثا عن تأسيس المعرفة على معول العقل العلمي دون سواه..

2.2 النّهضة الفلسفية و السياسية:

فضلا عن مساهمة رجال العلم في إحداث قطيعة ابيستيمولوجية مع النمط الفكري السائد الذي كان يعتمد بالدرجة الأساسية على الذوات المفارقة للطبيعة بحثا عن حلول لمشاكل الانسان الأرضية في السماء على مدى الفكر الوسيطي الاوروبي، كانت مساهمة الفلاسفة بليغة الأثر في تأسيس لعهد إنساني جديد حيث استقطب الإنسان اهتمام كل الدراسات: العلمية و الفنية و الأدبية

على حد سواء، حين بدّدوا و قوّضوا قيود الفكر الموجّه، ليطلقوا العنان للعقل المتسائل مستأنفا مغامراته الاستكشافية و مستنكفا متأفّفا متشامخا من فجاجة الفكر الخرافي، لاسيما في صورة التنجيم، متوخيا الحقيقة العارية في أدق أشكالها دون تدليس و تلفيق و نفاق على كل مستويات البحث العلمي، و نخصّ من بينهم بذكر **جيوفاني بيكو ديلا ميراندولا**(1463-1494) **Giovanni Pico della Mirandolla** الذي انجز عملا ضخما في معناه وإن كان خفيفا في حجمه المادي، و نخصّ بذكر نصّه الذي جاء موسوما بـ" **Di hominis dignitate**" "**في كرامة الإنسان**" أو "**في الكرامة الإنسانية**" و هو نص فلسفي بامتياز حيث تحرّى فيه مسألة جوهرية التي تتمثل في مسالة ماهية الانسان، و هي المسألة التي ردّها إلى معول حاسم و أساسي ألا و هو الحرية. ورد عن **بيكو دولا ميراندولا** في ذات النص أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي بوسعه تحديد ماهيته بالاعتماد على حرية إرادته دون سواها: خلافا عن عالم الاشياء و النبات و الحيوان، خلق الله الإنسان، من منظوره، على نحو جعله يُصادف و يظهر في الطبيعة و الكون و من ثمّ يُحدّد و يُعرّف تبعا لمساعيه الكاشفة عمّا يريد أن يكون ليجسّد ارادته تلك بواسطة نشاطه؛ بهما يُعرّف، منهما يستمد كرامته و يستوحي وجوده الفعلي العيّني. (**Giovanni Pico Della Mirandola, pp 8 et 9**) في ذات النص، نستشف ملامح فلسفة إنسانية لإنسانية فلسفية حدّد من خلالها أساس الكرامة الإنسانية في الحرية بحيث تكون الكرامة و الحرية الإنسانيتين متلازمتين، تتواجبان فتتجاوبان.

و إلى جانب ثورة **بيكو دولا ميراندولا** الفلسفية، نلمس في **نيكولو بيرناردو دي ماكيافيللي** (1469-1527) **Niccolo Bernardo dei Machiavelli** تمرّدا على النفاق السياسي و التلفيق الأخلاقي الذي ترك بصمات بليغة الاثر في الفكر السياسي على مدى عصر النهضة و الحداثة بل أمتد أثره إلى ما بعد الحداثة

من منطلق أنه منظّر سياسي مبدع، رسم و حقّق لنفسه مكانة مرموقة في الفلسفة السياسية، تلك المكانة التي نلمسها فيما دوّنه من الأعمال على نحو " **خطاب في العشرية الأولى من تاريخ تيتو- ليفيو**" **Discours sur la première décade de Tite-Live** و كتابه المشهور الذي جاء موسوما بـ"الأمير" **Le Prince** و كتاب "**فن الحرب**" **L'art de la guerre** حيث لخّص فيها جوهر طبيعة النشاط السياسي في عصره و ما قبل عصره استنادا إلى اطلاعه على التاريخ القديم و تاريخ العصور الوسطى ليستخلص من ثقافته التاريخية و خبرته الشخصية في الممارسة السياسية، وجوب تأسيس الفلسفة السياسية، من حيث هي نظر للتطبيق، على قاعدة علمية واقعية و تجريبية خالية من كل أشكال النفاق و المداهنة الاخلاقية، و السبب في ذلك راجع إلى أن النجاح العملي في الممارسة السياسية، في تقديره، وقف على القوة الذاتية و بسط سلطانها في الخارج بمعزل عن الاعتبارات الأخلاقية الفاضلة؛ إنما يجب على الأمير أن لا يتقيّد بالفضيلة، بل عليه استخدام الخير و الشر على حد سواء و بغض النظر عن التساؤل في كون الغايات حسنة أم سيئة، ذلك تبعا لما تفتضيه الظروف وحدها؛ فالحرب هي صناعة الأمير الأساسية، و بالتالي لا مفر من أن يكون قاسيا حين يريد أن يُطاع. تلك هي حقيقة النشاط السياسي التي استنكف منها دعاة بناء السياسية على الأخلاق، و إن كان استهجانهم للتصوّر **ماكيافيل** الجديد لقاعدة النشاط السياسي، يحمل في طياته شيئا من التدليس و عدم الاقرار الصريح بحقيقة الممارسة السياسية في الواقع المعيش. (يوسف كرم، 1979، ص 25)

3.2 النهضة الفنية أو فن النهضة:

بدأت حركة النهضة الفنية في ايطاليا إبّان القرن الرابع عشر لتمتدّ بعده بشكل تصاعدي إلى عدّة دول أوروبية. و الحال تلك، يُجدر بنا أن نشير إلى أنّ تطور العلم الذي شاهدته تلك الحقبة الزمنية قد أثّر إيجابا في النشاط الفني؛ و

نلمس ذات الأثر في زيادة تحكّم أعلام فن الرسم(**Peintres**) و الرسم(**Dessinateurs**) و النحت (**Sculpteurs**) في المنظور الخطي(**Perspective linéaire**) و في نسب الأشكال(**Proportions**) بشكل ملحوظ؛ و بالمثل، ساهم الطب و علم التشريح في تحكّم أعلام الفن في تحقيق النسب الفُضلى عند تمثُل جسم الإنسان و تجسيده على نحو يحقّق التناغم بين أطرافه. و في كل الاحوال يمكن أن نلخّص أهم التغيّرات التي اعترت الممارسة الفنية في عصر النهضة في ما يلي:

أ- تغيّر أساليب الدلالة الفنية في التعبير عن الشخصية الفردية باستخدام العراة و احترام نسب(**Proportions**) أعضاء الجسم للاحتفاظ على تناغم شكله في شموليته و إدخال على الأشكال الفنية ما يثير الانطباع بالحركة عند المشاهدة.

ب- التعبير بواسطة ملامح الوجه عن العواطف و الاحوال النفسية الأخرى و جعل الصور(**Portraits**) تتخذ أبعادا جديدة.

ج- تُنجز المناظر الطبيعية بخصائص جديدة على نحو الحرص على إظهار جزئيات الشكل الدقيقة مع احترام حجم نسبها و الكشف عن خلفيتها(**la toile de fond**).

د- رسم البحر و الأنهار بحيث تطابق الصورة الطبيعة و ألوانها كما تحث الذهن إلى إدراك الصور في حيويتها المتحرّكة.

هـ- مقاربة الأفاق بكثير من العُمق في انجاز الاعمال الفنية.

و نخصّ أعلام الفن النهضوي الذين أحدثوا قطيعة مع الفن الوسيطي، بذكر **دوناتو دي نيكولو دي بيتو باردي**(1386-1466) **المعروف باسم دوناتيللو Donatello Donato di Niccolo di Betto Bardi** الذي غيّر مجرى فن النحت من حيث المادة و الشكل حين قدّمه في شكل جديد اعتمادا على أسلوب مغاير لما سبقه بالنظر إلى استغلاله الأمثل لفضاء بنية مادة النحت و تقديمها على

نحو تكشف عن مواقف مختلفة و تعبّر عن حالاتها النفسية بواسطة ملامح الوجه.

و إلى جانب دوناتيللو، نجد **اليساندرو دي ماريانو دي فاني فيليبيبي**(1445-1510) **Alessandro di Mariano di Vanni filipepi** المعروف **باسم ساندرو بوتيجللي Sandro Botticelli** الذي تشبّع بالثقافة الفلسفية الإنسانوية من خلال علاقته الوطيدة بالأفلاطونيين الجُدد.

كما نجد في نفس الاتجاه **أنجيلو أمبروجيني مونتيبولتشيانو**(1454-1494) **Angelo Ambrogini Montepulciano** الذي أسّس فقه اللغة(**Philologie**) الحديث و كان يُتقن فن الترجمة نظرا لتحكّمه في زمام أمور مختلف الألسنة على نحو اللاتينية و اليونانية و غيرهما. اشتهر بنزعته الإنسانوية لما يحمل شعره و أغانيه من هموم و الآم و جمال الطبيعة فضلا عن علاقته **ببيكو دولا ميراندولا** الذي سبقت الإشارة إليه أعلاه.

و فضلا عن هذه الكوكبة من الفنانين الإنسانويين، لا يمكن أن نقفز فوق جلالة **ليوناردو دا فانتشي** (1452-1519) **Leonardo da Vinci** الفنية، الذي يُعد من أشهر أعلام الفن و أكثرهم تأثيرا في عصر النهضة و في ما بعده. تميّز و امتاز **دا فانتشي** بسعة ثقافته العلمية و ميله إلى الدقة الرقمية في اعتبار البُنى و الأشكال و في امتثالها، كما كان يعتبر اشكال الإخفاق و الاخطاء و الكوارث مواد و أدوات يتعيّن توظيفها للاهتداء إلى الحقيقة. و على هذا الأساس، شيّد نسقا فنيا تقني الطبيعة، بناه على الملاحظة استنادا إلى الخبرة و التجربة العلمية. يتميّز فكر دا فانتشي بكونه تركيبا من الأمبيريقية و الطبيعيوية(**Naturalisme**). و من هذا المنطلق، كان يردّد لمن يستبصر الاعتبار و يعتبر الاستبصار أن "الحكمة ابنة التجربة" اعتبارا أن التجربة لا تحيد أبدا عن الحقيقة؛ إنما تزيغ عن الحقيقة أحكامنا حين تخطأ في اسناد النتائج إلى غير أسبابها. (يوسف كرم، 1979، ص 17) و

إلى جانب هؤلاء، يجب ذكر الآثار الفنية الدامغة التي تركها **ميكايل انجلو دي لودوفيكو بيونانوتي سيموني** (1475-1564) **Michelangelo di Lodovico Buonanaotti Simoni** و **رفاييللو سانزيو دا اوربينو** المعروف باسم **رفايل**(1483-1520) **raffaello Sanzio da Urbino(Raphael)** .... و القائمة طويلة.

الواقعية العلمية، الواقعية الفلسفية، بمعنى جديد غير المعنى المتداول في القرون الوسطى، الواقعية السياسية و الميل إلى الوضعية في التنظيم السياسي و الاجتماعي بدلا من الربوبية الفكرية اللاهوتية السائدة على مدى القرون الوسطى، اسقاط الحركة على الاشكال الفنية، الاعتناء بالجزئيات في تدوين الأعمال الفنية، الحرص على الاستغلال الامثل للمجال عند الإنجاز الفني، الحرص على التطابق بين العمل الفني و الطبيعة في سيولتها الحية، الحرص على دقة نسب الرقمية للأجزاء المكوّنة لكلية الأشكال و الميل إلى اعتبار الانسان من حيث هو مركز الثقل في كل الدراسات...كل هذه الأفكار الجديدة تنصبّ في اتجاه واحد يفيد ضرورة تأسيس لعهد تاريخي جديد يحتوي جملة هذه المستجدات و يقدّمها في شكل نسق أو أنساق متجانسة كاملة و مكتملة مفتوحة أو مغلقة تعبّر عن ميلاد عقلانية جديدة، إنسية المنحى و الطبيعة، تتوخى فهم الطبيعة بما فيها من الظواهر على تنوّع صورها و تفاوت مستوياتها قصد التحكّم فيها و السيطرة عليها للاستفادة منها. تلك هي العقلية التي اتخذت دلالة الفلسفة الحديثة....فما هي الفلسفة الحديثة؟

3. أثر النهضة الأوروبية في الفلسفة الحديثة:

منذ البداية، أُلفت انتباهكم إلى أن عملية تحقيب السيرورة التاريخية لا تخضع لمعيار واحد، بل تختلف مقاييس التحقيب التاريخية باختلاف التخصصات العلمية و المحطات الحضارية وفقا لتاريخ المجتمعات الثقافي في

أُطرها الجغرافية. و على هذا الأساس، يتحدّد العصر الحديث تبعا للتخصصات الجامعية، و وفقا للدول المختلفة، و بالتالي، سنتناول العصر الحديث، في هذا الفضاء، من وجهة النظر الفلسفية و العلمية بالمعنى التقني.

نقصد بالعصر الحديث تلك الفترة التاريخية التي انفردت بعقلية خاصة مغايرة لما سواها، بالنظر إلى عدّة معالم و مقاييس التي يمكن أن نلخّصها فيما يلي:

أ- **تضاؤل سلطة الكنيسة**: إذا استسغنا، بشكل من الأشكال، فكرة استمرارية العصور الوسطى و امتدادها إلى العصر الحديث في بعض الجوانب من الحياة الروحية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في الدول الاوروبية، كامتداد بعض الهياكل السياسية القروسطية إلى العصر الحديث مثل التشابه القائم بين النظامين الإقطاعي و الملكي السائد في كل أرجاء أوروبا، فإن ذلك لا يعني عدم وجود قطيعة حقيقية بين الفترتين التاريخيتين، إذ إن بوادر القطيعة الأولى نلمسها في تبدّد سلطة الكنيسة و تهافت نفوذها التدريجي على المستويات الروحية باعتبار تحوّل الدين في العصر الحديث، إلى مجرّد عاطفة تستلطف الروحانيات حين بدأت حركة علمنة النشاط السياسي أي فصل النشاط السياسي عن الدين **La sécularisation de la pratique politique**، و بروز الفردية العنيفة في الأدب، فضلا عن تصاعد البروتستانتية في الحركة الدينية و التأفف من "صك الغفران" ممّا جعل النزعة الإنسانية تبزغ من صميم الفكر الديني لتستتبّ نهائيا بفضل الحركات الأدبية و الفنية و الفلسفية، بالإضافة إلى انفصال النشاط العلمي عن الكنيسة في العصر الحديث و تنصّله من هيمنة الثقافة البابوية، و تحرّر العمل السياسي من الدين بالنظر إلى انتقال السلطة من الكنيسة إلى الحكومة القومية بما فيها الوظائف التي تلازمها، كما تحرّر النشاط الاقتصادي، فحلّ محلها سلطة الملوك الذين تحالفوا مع أغنياء

التجار لتستتب على إثره الارستقراطية و ما تفترض من التجارة الحرة و حركة الدمقرطة **démocratisation** التي افرزت طبقة اجتماعية جديدة: البورجوازية التجارية.

ب- **زيادة نفوذ العلم**: تزامن تهافت الثقافة البابوية بصعود نفوذ العلم الوضعي بشكل يلفت الانتباه خصوصا بعد ما نشر **نيكولا كوبرنيك** خلال سنة 1543 نظرية "**مركزية الشمس**" المناهضة للاعتقاد المألوف و المعتمد رسميا من قبل أعلام الكنيسة، و أعني به نظرية "**مركزية الأرض**"، و إن كانت نظرية مركزية الشمس لم تعرف رواجها إلاّ في القرن السابع عشر بعد أن أدخل عليها كل من **يوهان كيبلر**(1571-1630) **Johannes Kepler** و **غاليلي** إصلاحات، لتحتدم على إثر ذلك، معركة العقل و النقل الطويلة بين دعاة العلم الوضعي و دعاة العلم اللاهوتي، الأول، بوصفه علما مفتوح الآفاق و دامغ الأثر في واقع الانسانية المعيش، و الثاني بوصفه علما مذهبيا متحجّرا يتخذ ذاته معيارا نهائيا للحقيقة في كل أشكال تجلياتها. و بين هذا و ذاك، أستمال العلم الوضعي انتباه و اهتمام أغلبية فلاسفة عصر الحديث الساحقة بالنظر إلى انسجامه مع الفطرة السليمة من منطلق قيامه على العقل و مناشدته له. و الجدير بالإشارة إلى أن اهتمام فلاسفة العصر بالعلم الوضعي لم يكن بسبب فعّاليته النظرية في الاهتداء إلى الحقيقة النظرية فحسب، إنما كان الاهتمام به بشكل خاص نظرا إلى آثاره الدامغة في حياة الانسانية العملية و التطبيقية بكل أبعادها و مستوياتها إذ انكشف العلم الوضعي على نحو جعله يتخذ صفة الأداة و الوسيلة الفُضلى لتغيير الطبيعة قصد الاستفادة منها. اكتشاف الانسان منذ بداية العصر الحديث، نجاعة العلم في اصلاح اوضاع البشرية المادية بأوسع معنى العبارة، بدءا من كونه استقوى به في الحرب عند اكتشاف سلاح المدفعية في القرن الخامس عشر،

لاسيما بعد ما تقلّد كل من غاليلي و ليوناردو وظائف حكومية بدعواهما اصلاح المدفعية و تطويرها و تحذيق وسائل التحصين:

" و منذ زمنها و قد زاد باطراد دور رجال العلم في الحرب. و جاء بعد ذلك دورهم في تطوير انتاج الآلة و تعويد الناس على استخدام البخار أولا، ثم الكهرباء، و لكن لم تبدأ آثاره الهامة في الظهور إلاّ قرب نهاية القرن الثامن عشر. و يعزي انتصار العلم بصفة رئيسية إلى المنفعة العملية، و كان هناك محاولة لفصل هذا الجانب عن الجانب النظري، و جعل العلم بدرجة أكبر فأكبر علما تقنيا، و بدرجة أقل فأقل منصبة على طبيعة العالم. و قد تغلغل نفوذ وجهة النظر هذه عند الفلاسفة منذ عهد قريب." (برتراند رسل ، 1977، ص ص 7،8)

ج- **النزعة الإنسانية**: النزعة الإنسانية أو الإنسانوية **La tendance humaniste ou l'humanisme philosophique**، تيار فلسفي، أدبي و فني و حركة فكرية ارتدادية حيال الوثوقية و الصنمية الفكرية و العقائد المتحجّرة التي هيمنت على مدى القرون الوسطي و ما بعدها، وجعلت إنسانية الانسان مركز اهتماماتها و وضعتها فوق كل اعتبار آخر متوخية سُبل تفتّحه و سعادته. (جيرار بن سوسان ، ص ص 191 إلى 195)

و الجدير بالإشارة إلى أن النزعة الإنسانية مرّت بثلاث محطات تاريخية متميّزة. بدأت، في شكلها الأول، في ايطاليا مع القرن الرابع عشر و امتدت إلى القرنين الخامس و السادس عشر إبّان عصر النهضة الأوروبية؛ و في صورتها تلك، كانت تعبّر عن مواقف العلماء و الفلاسفة و الأدباء و الفنانين على شاكلة **فرانسيسكو بيترارکا** (1304-1374) **Francesco Petrarca** الذي استمالته لغة ايطاليا الشعبية في فجاجتها، على الرغم من كونه في مقدمة اللغويين الذين أسّسوا قواعد اللغة الايطالية الحديثة، لما استشعر فيها من الواقعية المعبّرة عن

حقيقة الإنسان الايطالي في سيولة حياته الطبيعية، بعيدا عن كل الاصطناعية في السلوك و النفاق الاجتماعي و التلفيق الأخلاقي، كما اشتهر بمساعيه للتوفيق بين التراث الثقافي القديم و تعاليم المسيحية حتى تنسجم ماهية المسيحية مع الحياة الاجتماعية الطبيعية.

و إلى جانب **بيترارکا**، نجد **جيوفاني بوكاتشيو**(1313-1375) **Giovanni Boccaccio** الذي أجلى، من خلال أعماله الأدبية الكثيرة، جمال المرأة، فعظّمه و جعله مبجّلا و كذلك فعل بكل أشكال الحُب، فداء لبُعده الإنساني و مناهضة لكل الصور المزيّفة لإنسية الإنسان و ماقتا لكل أشكال التّزمّت و ما يلزم عن ذلك من التلفيق و النفاق. و في نفس الاتجاه، لا يمكن ان لا نذكر الفيلسوف و رجل الدين **ديزيديريوس ايراسموس روتردراموس**(1466-1536) **Désiderius Erasmus Roterdamus** و صديقه **توماس مور**(1478-1535) **Thomas More**؛ كان الأول صاحب أعمال أدبية لاذعة النقد و السخرية إزاء الحياة الاجتماعية و السياسية و الاخلاقية الزائفة، و نخصّ أعماله بذكر كتابه الموسوم ب" **في مدح الجنون**" **L'éloge de la folie** الذي جاء على شكل إنشاد و تضخيم كلامي على طريقة البلاغة الكلاسيكية التي استوحاها الإنسانيون من المدارس القديمة. ليس الجنون المقصود مجرّد صورة بلاغية التي عوّدنا عليها السفسطائيون، إنما هو اعلان جنون الانسانية و الالهة على حد سواء بحيث يُعالج أمراض و المزاعم الكاذبة التي لحقت البشرية في كل فئاتها و على كل مستوياتها، ذلك لأن الجنون، و الحال تلك، مصدر السرور و السعادة في حين ان الحكمة لا تجدي نفعا و لا تغني فتيلا لما تثير من حزن و بؤس. أما **توماس مور**، فهو صاحب بصيرة ثاقبة التي نستشفها من خلال أعماله الجسيمة المدوّنة في 21 مجلد بعنوان " **أعمال توماس مور الكاملة**" التي نشرتها جامعة يال الامريكية **The complete works of Thomas More, Yale university, New**

haven نلمس فيها عُمق التحليل الذي يكشف عن اسباب البؤس الاجتماعي و الاضطرابات السياسية و ما تثير من مشقة البشرية. طبعا، لسنا في حاجة إلى تكرار مساهمة بيكو دولا ميرادولا و ليوناردو دا فينتشي و غيرهما في انتشار الانسانوية في عهدها الأوّل.

أما النزعة الانسانوية في صورتها الثانية(عصر الحديث)، فإنها تتمثل في تلك الحركة الفلسفية التي انطلقت في النصف الثاني من القرن السابع عشر، فشملت معظم الدول الأوروبية و التي قادها فلاسفة الأنوار **Les philosophes des lumières** الذين سخّروا قواهم في مختلف صوّرها ذودا عن الكرامة الإنسانية ضد التعسّف و الاعتباط السياسي و سلطة الحكام القمعية و ظلامية أولئك الذين استوطنتهم الخرافة، فشيّدوا، لتحقيق مقاصدهم، انساقا فلسفيا تضرب في العُمق كل ما من شأنه يذهب في اتجاه تعطيل مغامرات العقل الحر الاستكشافية و التحرّرية حيال الطبيعة و السياسة المكبّلة لقوى الانسان المبدعة. و من أشهر أعلام النزعة الإنسانوية نذكر الفيلسوف الفرنسي **روني ديكارت René Descartes** (1650-1596) **الملقّب بأبي الفلسفة الحديثة** بالنظر إلى جذرية نشاطه العلمي و الفلسفي سعيا إلى العثور على الحقيقة التي لا يتسرّب إليها أدنى شك، إذ أنه سعى في البحث عن "**نقطة أرخميدس** " **Le point d'Archimède**" ، كما كان يحلو له أن يقول تعبيرا عن وجوب بناء المعرفة على اساس جديد مادام أن الأسس القديمة، في نظره، احتمالية و حادثة فقط، يمكن أن تكون صادقة و لكنها يمكن أن لا تكون كذلك أيضا. (**René Descartes page 136 ,1951,à partir de la)** و انتهى به الأمر إلى بناء ما يُسمّى في الادب الفلسفي المعاصر بـ" **فلسفة الذات**"**La philosophie du sujet** يظهر فيها الإنسان يتخذ شكل "**محور الوجود**" يتعيّن تسخير الطبيعة و الأنظمة من أجل انبساطه و انشراحه تحقيقا لسعادته.

و إلى جانب روني ديكارت، نذكر **باروخ سبينوزا** (1632-1677) **Baruch Spinoza** الذي يُعتبر مع **غوتفريد فايلهالم لايبنيتز**(1646-1716) **Gottfried Wilhelm Leibnitz** أحد أهم فلاسفة النزعة العقلية في العصر الحديث لكونه صاحب نسق فلسفي أقامه على أساس العقل المرن و الخالص اعتبارا أنه السبيل الوحيد الذي يؤدي بمن يحتذيه إلى استكناه الحقيقة في أشكالها و تجلياتها المختلفة، بما في ذلك الحقيقة الدينية من منطلق أن العقل يسبق الاعتقاد و يحدّده: نعقل ثم نعتقد و ليس نعتقد ثم نعقل. كما اشتهر سبينوزا بحرصه على حرية الرأي و الاعتقاد و بتأويله العقلي للكتاب المقدس لينتهي به الأمر إلى موقف علماني لائكي من مسألة طبيعة العلاقة بين الدين و السياسة.

و من أعلام الأنوار الذين تجذرت بصماتهم في ثقافة العصر، نذكر **جون لوك**(1632-1704) **John Locke**، **و هو** فيلسوف و منظّر سياسي بريطاني مبدع، يُعد من المؤسسين للفلسفة التجريبية التي نلمسها في أعماله الكبرى التي أنجزها ما بين 1689 و 1693 و أخصّ منها بذكر "**بحث في العقل البشري**" **An essay concerning human understanding** و " **رسالة في التسامح**" **A letter concerning toleration** و " **بعض الأفكار في التربية**" **Some thoughts concerning education** و "**بحثان في الحكم المدني**" **Two treatises of government**. في كتابه الأول، يعرض أهم تصوراته و مواقفه من مسالة طبيعة المعرفة و فلسفة الروح التي تذهب في الاتجاه المعاكس للنظريات الفلسفة العقلانية القائمة على مبدأ "**فطرية الأفكار**" **Innéisme ou le principe des idées innées** التي قال بها روني ديكارت و من حذا حذوه في نظرية المعرفة. بيد أن شهرته الاساسية نستشعرها في فلسفته السياسية، التي ألهمت بشكل دامغ اعداد دستور الولايات المتحدة الامريكية(1787)، حيث يظهر فيها على نحو أحد فلاسفة "**العقد الاجتماعي**"، (بيرتراند رسل ، ص ص **189**إلى **232**)

إلى جانب **توماس هوبز**(1588-1679) **Thomas Hobbes** و **جون جاك روسو**(1712-1778) **Jean Jacques Rousseau**. **عاش جون لوك** الفترة التي عقبت نهاية الحروب الدينية و ما لزم عنها من السعي صوب عقلنة الحياة السياسية و الاجتماعية، ممّا فتح مجال المناقشة الذي دخله **جون لوك** من بابه الواسع، مؤكدا لمن يهمه الأمر أن السياسة هي الوسيلة الوحيدة التي يتعيّن على الانسانية الاجتماعية اقتفاء أثرها للتنظيم شؤونها الدنيوية العملية و النظرية العامة على السواء، في واقعها المعيش، و لا يجب الرجوع إلى الدين سوى في المسائل الروحية الشخصية، و كان ذلك سببا من أسباب أخرى التي أدّت إلى ظهور نظرية العقد الاجتماعي إجابة على مسألة تفسير كيفية انتقال الانسانية من الحالة الطبيعية إلى الحالة السياسية، فتبلورت على إثرها افكارا سياسية جديدة على نحو "**الحق الطبيعي**" و "**دولة القانون**" و غيرهما التي أسّست ملابسات بناء ملامح صرح ما عُرف فيما بعد ب"**الليبيرالية**".

و نحن نتحدّث عن نظرية العقد الاجتماعي في "**أنسنة**" العصر الحديث، **Humanisation des temps modernes**، في كفاحها ضد العبودية في كل أشكالها و صورها، والظلامية و العقلية الغيبية، لا يمكن غض الطرف عن مساهمة **جون جاك روسو** بأعماله الفلسفية و السياسية الدامغة الأثر في التغيّرات التي اعترت الانسانية الاجتماعية في الحقبة الزمنية التي نقصدها هنا، التي نلمسها أساسا في " **في العقد الاجتماعي أو في مبادئ الحق السياسي**" **Du contrat social ou des principes du droit politique**، و " **إيميل**" **Emile** "، و "**خطاب في أصل و أسس التفاوت بين الناس**" **Discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité parmi les hommes**، و " **تأملات المتنزّه الوحيد**" **Les rêveries du promeneur solitaire**، و غيرها. هي أعمال التي أثار من خلالها قضايا فلسفية و سياسية و تربوية هامة،

على نحو المساواة و التفاوت بين الناس و مقدار النسبة الذي يربط الانسان بالطبيعة، و الحرية الحقيقية...الخ. ميّز **جون جاك روسو** بين ما أسماه الحرية الطبيعية و الحرية المدنية و الاخلاقية معتبرا الاولى شبه حرية لكونها ليست حرية حقيقية على أساس أنها معطى طبيعي؛ إنما الحرية الحقيقية، من منظوره، تكمن في فعل الانسان الذي يجعله يتحكّم في الطبيعة و في نزواته على حد سواء. و من هذا المنطلق، تتخذ الحرية الحقيقية سمات تعيّنها و تحدّها إرادة الانسان الطليقة(**libre arbitre**) المفعمة بالخير أي الإرادة العامة كما أسماها في العقد الاجتماعي. و عليه، يتجاوز **روسو** الحرية الطبيعية و توخى الحرية المدنية و الاخلاقية التي تُلمس و تُعاش في خضوع الانسان إلى القوانين التي يسنّها، فتبني دولة القانون المحرّرة لأنها قائمة في أساسها على مبدأ الحق لجميع المواطنين في الحرية.

من فلاسفة الأنوار الذين ساهموا في صنع العصر الحديث الاوروبي، لاسيما في بُعده السياسي، نذكر أيضا **شارل لويس دو سوكاندا بارون دو لابراد دو مونتيسكيو**(1689-1755) **Charles louis de secondât, baron de la Brède et de Montesquieu** الذي اشتهر بمساهمته في فلسفة الحق بناء لمعايير النظم السياسية الجديدة بدءا من انتقاداته اللاذعة لآليات التنظيم السياسية و الاجتماعية في فرنسا التي قدّمها في صورة "**هجاء مُسلّي**" من خلال رواية مشهورة جاءت بعنوان "**رسائل فارسية**" **Lettres persannes** نشرها سنة 1721 قصد لفت الانتباه إلى ضرورة إعادة النظر في آليات التنظيم السياسي و الاجتماعي. غير أن أفكاره الثورية الأساسية دوّنها في كتابه المشهور الموسوم ب"**روح القانون**" **L'esprit des lois** الذي نشره سنة 1748 حيث قدّم الصورة الفُضلى لتوزيع المهام على الفاعلين في حقلي السياسة و الادارة داخل هياكل ممارسة السلطة، و ذلك ما سُمي فيما بعد في الادب السياسي "**مبدأ فصل**

السلطات"Le principe de la séparation des pouvoirs أي السلطة التشريعية، السلطة القضائية و السلطة التنفيذية ليساهم بعمله هذا في تأسيس لمبادئ الديمقراطية في شكلها الاوروبي الغربي.

بالإضافة إلى فلاسفة العصر و منظّريه السياسيين المذكورين، لا يمكن أن لا نشير إلى الدور الذي لعبه **اسحاق نيوتن**(1643-1727) **Isaac Newton** في ظهور العصر الحديث و انفصاله عن سابقه؛ دور الذي نلمسه في أهم تصوّراته الفلسفية و العلمية في كتابه الجوهري الذي جاء بعنوان " **المبادئ الرياضية لفلسفة الطبيعة" Philosophiae naturalis principia mathematica** لتننتقل، على إثره، الفيزياء من صورتها الأرسطية الكيفية إلى صورتها الرياضية الدقيقة بفضل اكتشافه لقوانين الحركة الثلاثة التي أسّس عليها علم الميكانيك أي علم الحركة، و هو ما يُسمّى اليوم بالميكانيك الكلاسيكية خلافا عن "ميكانيك الكم" المعاصرة **La mécanique quantique**، الذي يثبت من خلاله أن حركة الاجسام و الاشياء على سطح الارض، و كذلك حركة الاجرام السماوية تخضع كلها للقوانين الطبيعية دون سواها، ليقضي بذلك على كل التأويلات الغيبية و اللاهوتية للسيرورة و الصيرورة الطبيعيتين، **فيؤنسن** العلم و سائر أشكال المعرفة البشرية.

إن أعلام النزعة الانسانية في العصر الحديث كثيرون، و إذا غفلنا عمدا عن ذكر أسمائها الثقيلة، مثل **إمانويل كانط** (1724-1804) **Emmanuel Kant و ديفيد هيوم** (1711-1776) **David Hume**، **و جورج فايلهلم فريدريش هيغل**(1770-1831) **Georg Wilhelm Friedrich Hegel**، فذلك لاجتناب التكرار، لأننا سنخصّص لها متسعا من المكان لاحقا في الدرس الثاني داخل إطار الخوض في تفاصيل الفلسفة الحديثة. و مع ذلك، سنذكر، في عُجالة، بعض أدباء العصر على شاكلة **فولتير**(1694-1778) **Voltaire الذي** كان يدعو

إلى جعل إنسانية الانسان فوق كل اعتبار في كتبه و نذكر منها " **رسالة في التسامح**" **Traité sur la tolérance** حيث نعثر على هذه العبارة الجميلة في شكلها و المفعمة بالمعنى في مادتها:

" **إن حق التعصّب، في النهاية، غير معقول، هو ضرب من ضروب الوحشية و الهمجية: إنه حق النمور، بل هو أكثر فظاعة، ذلك لأن النمور لا تقطّع لحم فريستها إلاّ للضرورة البيولوجية، بينما نتعاطى الهلاك و الاستئصال من أجل رأي، فقرة نثر أو شعر خارجة عن المألوف**". (Voltaire, 1763, p49)

كما يجب أن نشير إلى مساهمة الموسوعيين في أنسنة الحداثة مثل **جون باتيست لورون دالامبير**(1717-1783) **Jean-Batiste le rond d'Alembert** و **دونيس ديدرو**(1713-1784) **Denis Diderot** لما قدما من خدمة من أجل عقلنة الحياة الاجتماعية بإخضاعها إلى سلطان العقل وحده اعتمادا على النقد الحاد و الفعّال قصد توطين الكرامة الانسانية و جعلها عُملة التبادل في النسيج الاجتماعي في سيولة الحياة البشرية.

هذا، و إلى جانب النزعة الإنسانية النهضوية و الحديثة، يوجد شكل ثالث يتمثل في الانسانوية المعاصرة التي تتشخّص في الفلسفتين: الماركسية و الوجودية اللتان تدخلان في اطار مادة اهتمامنا للسداسي القادم.

و في خلاصة حديثنا عن النزعة الانسانية، يمكن أن نعرّفها في مختلف اشكالها في العصور الثلاثة المتعاقبة بإيجاز على النحو الآتي:

هي حركة فلسفية و علمية و أدبية و فنية تجعل الإنسان فوق كل اعتبار. و على هذا الأساس، تحثّنا على تقصّي اقتفاء أثار السُبل المؤدية إلى تحقيق انشراحه و انبساطه و بكلمة واحدة: سعادته. و تقوم النزعة الانسانية على جملة من مبادئ نذكر أهمها فيما يلي:

المبدأ الأوّل: يتمثل في إباءة الصنمية الفكري (Marx, 1972, p88 à 103) و التصورات المتحجّرة و المعتقدات المتزمّتة الوضعية منها و الدينية على حد سواء التي تكبّل الفاعلية الانسانية، فتعيق امكانات انفجارها و ما يلزم عنها من فتح آفاق التقدم و التطور و الاستكشاف، و بالمثل، ترفض الانسانوية الطقوس الصوفية الغيبية التي لا تمت إلى الواقع المعيش بالصلة في شيء باعتبارها لا تقبل التجريب.

المبدأ الثاني: يثبت الانسانيون "القيمة" و يُبجّلون الكرامة الانسانية تبجيلا و كذلك استقلال الفرد في الحياة الاجتماعية حرصا على حقه في الحرية شريطة أن لا يعيق ذلك حرية غيره: "**تنتهي حريتي عندما تبدأ حرية غيري**" كان يردّد **بيكو دولا ميراندولا** في كتابه الموسوم ب" **في الكرامة الانسانية**". و الجدير بالإشارة على هذا المستوى إلى أن أعلام النزعة الانسانية يؤمنون بشمولية حركتهم و يتجاوزون النظرة الفئوية و الطبقية و القومية إلى الانسانية المطلقة (Maurice Merleau-Ponty, 1947, p 203-204) **cosmopolitisme** بغض النظر عن أصل الانسان و لونه و لغته و عقيدته...إلخ.

المبدأ الثالث: ينظر الانسانيون بموجبه إلى العلم الوضعي و إلى ابتكارات التكنولوجيا نظرة أداتيه بنّاءة ابداعية و ليس نظرة تحطيمية و تدميرية و تقويضيه، باعتبار أن الاقتداء بالمنهجية العلمية و حُسن توظيف الابتكارات التكنولوجية فُرصة سانحة و وسيلة فُضلى للاستجابة لمطالب الانسانية الاجتماعية وللتجاوز مشاكلها المختلفة في كل أبعادها استنادا إلى رُشد العقل و حكمته. قيم العقل الانساني البنّاء تحدّد الاهداف و تُعيّنها، و العلم و التكنولوجيا وسيلة تحقيق ما نصبو إليه. مشاكل الانسان ارضية، ولا يُعثر على حلّها سوى في الأرض.

المبدأ الرابع: إن معول النزعة الانسانية في التنظيم السياسي و الاجتماعي هو بلا ريب **الحرية** التي تجد ضالتها في الانظمة الديمقراطية و ما يلزم عنها من حقوق الانسان الصالحة لكل الشعوب بغض النظر عن نظام حكمها و تركيبتها البشرية. (**Herbert Marcuse, p 146**)

المبدأ الخامس: التأكيد على الحرية الفردية على خلفية المسؤولية الاجتماعية.

المبدأ السادس: إثارة الابداع الفني و سعة الخيال و الابداع في كل المجالات.

المبدأ السابع: الفكر الانسانوي مفتوح على أخلاق الابداع. هو نمط وجود للكل و في كل مكان.

4. خاتمة

صفوة القول، أودّ أن ألفت النظر إلى أن التغيير أو التغيّر-حسب الظروف و الشعوب- من حيث هو حركة اجتماعية، يكشف، يبلور و يوحي بـ" إمكانية تاريخية". و بصفته تلك، يأخذ طابع القاعدة الاجتماعية التي تضمن استقرار و استمرار توازن المنظمات الاجتماعية و تثبّت وجود الهياكل الادارية و السياسية على مستويين متفاوتين:

- على نحو يكون **التغيّر** طبيعيا، مقرّرا و مفروضا فيكرّر الذات على التبعية و انسياقها لما تمليه الظروف بكل ما تعنيه كلمة "**السلبية**" من معنى.
- على نحو يكون **التغيير** "موضعة" **objectivization(act of making objective)** لمعقولية فعّالة إرادية صانعة لذاتها و للظروف التي تتخذ شكل مجرّد مرآة تعكسها في كل أبعادها.

5. قائمة المراجع:

بالعربية:

- برتراند رسل،1977، *تاريخ الفلسفة الغربية*، الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية للكتاب
- جون لويس، 1978 ، *مدخل إلى الفلسفة*، دار الحقيقة للطباعة و النشر، ترجمة أنور عبد المالك، بيروت
- جيرار بن سوسان، جورج لابيكا، *معجم الماركسية النقدي*، دار محمد علي للنشر-دار الفارابي، ترجمة جماعية، باب "الألف"، المادة "إنسانية (النزعة)"
- يوسف كرم، 1979 ، *تاريخ الفلسفة الحديثة*، دار المعارف، الطبعة السادسة، القاهرة

باللاتينية:

- Giovanni Pico Della Mirandola, *De la dignité de l'homme*, Traduit du Latin et présenté par Yves Hersant, éditions de l'éclat.
- Herbert Marcuse, *Reason and Revolution*, oxford university press
- Karl Marx, 1972, *Manuscrits de 1844*, ES, Présentation et annotation de Emile Bottigelli, Paris, 3e manuscrit
- Maurice Merleau-Ponty, 1947, *Humanisme et terreur, essai sur le prblème communiste,* Gallimard
- René Descartes, 1951, *Discours de la Méthode suivi de Méditations*, Présentation et annotation par François Mizrachi, union Générale d'Editions

- Voltaire, *Traité sur la tolérance*, édition de 1763